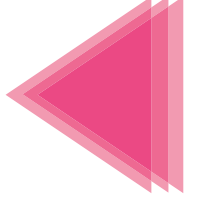


## أول امرأة على كرسي نقيب التشكيليين المصريين

صفية القباني

سيدة الزجاج تواجه صخور الإدارة

شريف الشرافي  
كاتب مصري

ما هو علمي وما هو فني وما هو خدمي من أجل النهوض بالفن التشكيلي، ومحاولة توفير حياة كريمة للفنانين من أعضاء النقابة. وقد وضعت القباني قائمة أهداف كبيرة، انقسمت إلى ثلاث فئات: طيبة واجتماعية وترفيهية. وتعدت بان تترك مكانها في حالة عدم تنفيذها ما التزمت به من هذه الأهداف، بما يوحى بالجدية في اضطلاعها بمسئولياتها، خصوصاً أنها تترك جديداً أن الإنظار كلها تنحج صوبها، وأن نقابة التشكيليين هي بمثابة كرة من نار.

## قوة فريدة

ومن عناوين هذه الأهداف، التي زادت على ثلاثين هدفاً: مشروع مبتكر متكامل للرعاية الصحية، منظومة مالية جديدة بطرق تسويقية غير تقليدية ومرعاة أصحاب الحالات الطارئة، ضمان تمثيل نقابة الفنانين التشكيليين كجهة استشارية بشكل إجباري في أي عمل أو حدث فني قومي، وغيرها.

بقي أن تستثمر القباني ملكاتها وقدراتها الجمالية، كفنانية تشكيلية، في تفجير أرائها الإداري خارج الصندوق النمطي، وأن تكون رسالتها النقابية ابتكارية هي الأخرى بالتوازي مع تجربتها الإبداعية، كصاحبة صيغ معاصرة وتكوينات ذات رؤية حديثة وتقنيات متطورة، حتى في تعاملها مع الموروث والجذور الشعبية.

ومثلما أن للفن موروثاً، على الفنان المجدد أن يتعامل معه بتمحيص وجدل، وشده وجذب، وغرابة وإضافة، فإن للعمل الإداري النقابي إرثاً طويلاً مثقالاً بالهجوم، والحسن والسيء، وهنا نستكشف قدرة صفية القباني على التنقيب والفترة دفع حقيقة في هذا الصدد، فهي فنانة محسوبة على تيار التجديد، لها إسهاماتها في إثراء المشهد التشكيلي المصري المعاصر، والتعامل مع الفن بوصفه جانباً من جوانب الحياة، ولعبة تلقائية من ألعاب الطفولة، وليس ممارسة نخوية معزولة عن الناس في برج عاجي أو في أطر مدرسية.

لظمت القباني القديم والجديد معاً في خيط واحد، مفتحة على فنون الموزايك والتصوير الجداري منذ عهد الفراعنة، مروراً بالحضارة الإسلامية التي ارتقت كثيراً بالمنمنمات والفسيفساء والثيرمات الهندسية، ودائماً لا يغيب عن الفنانة الحس الاجتماعي، للخلاص من سيطرة الزخارف، واتخاذ الفن مرآة للحياة الشعبية والاقتصادية والسياسية، والتواصل الجماهيري المباشر مع الناس، على غرار الأجداد.

وعنيت بخلخلة الأبنية الجامدة، والأخيلة التقليدية، ساعية إلى انتزاع العالم المادي من سياقه، لوضع كون آخر محله، وتوجيه مداركات البشر إلى مدارات خلاقة، لا مجال فيها للالتزام بالتواضع، فالفن انفتاح على نوافذ وفضاءات لاستعادة الإيجابية والقدرة على الانطلاق.

لقد وعت التشكيلية المصرية، أن أي حساسية إبداعية ابتكارية إنما تقاس بصق ملامستها حيوية الواقع، وتفصيله الغني، ومدى تفاعلها مع الجوهر الإنساني بانسيابية ومكاشفة، وإطلاق الطاقات الروحية وارتداد العالم النوراني، وإعادة تشكيل الوجود كعجينة الزجاج الطيعة، فهل ستجج الفنانة التي حكمت ألف حكاية لآل وردة شككتها في تكويناتها الجدارية المضيئة، في سرد حكاية أخرى منووجة تخص "نقابة التشكيليين"، التي قضت سنوات رهينة الإظلام وعدم الاستقرار؛ هذا ما ستسفر عنه الأيام القليلة المقبلة.



البعض تعاطف عدد من الفنانين معها في معركة الانتخابات بأنه نوع من الدعم النسوي، لكن الحقيقة أن القباني لم تلعب على هذا الوتر في برنامجها الانتخابي ودعايتها التي سبقت فوزها، لكنها عمدت إلى استغلال العنصر النسوي بأكثر من صورة بعد تتويجها.

على الرغم من أن مقعد نقيب التشكيليين استحقاق انتخابي وليس هبة أو مُنحاً بالتعيين، فإن تصريحات القباني بعد فوزها جاءت أقرب إلى المغالطة الصريحة الفجة للقيادة السياسية، إذ اعتبرت أن فوزها أحد وجوه تمكين المرأة، رامية إلى التوازي مع تعيين وزيرات في الحكومة الأخيرة، وتصعيد مسؤوليات من النساء في قطاعات وزارة الثقافة المختلفة.

إن تهنئة المجلس القومي للقباني بفوزها المستحق بعد انتخابات زهية وصعبة أمر مفهوم ومُقبَل، لأنها أول سيدة تصل إلى هذا المقعد، وفوزها يعكس طبيعة الحال إرثاً نوعياً للدور المنوط بالمرأة كشريكة للرجل في المجالات المهمة الحساسة، ومنها الثقافة والفنون وسائر مقومات القوة المصرية الناعمة.

وبدا خلط القباني في تصريحاتها بين نتائج انتخابات حرة، وبين خارطة تمكين المرأة والدعم الذي تتلقاه المرأة وفق مخططات القيادة السياسية، أمراً بالغ الغرابة، وكاد كلامها يشوب سياق الفوز برمته بالخلل. وكان الأحرى أن ترد على النهائي التي تتلقاها بشكر، وتحتشد إذا أرادت عن مجهودات المرأة واستحقاقاتها التي جاءت طبيعية بإعلان فوزها، ولم تكن نتاج قرارات عليا من أجل تمكين المرأة.

## الإدارة والفن

تتوجّه القباني صوب معترك نقابة التشكيليين بجناحي القدرات الفنية والمهارات الإدارية، ومن خلال البرنامج الانتخابي الذي وضعته، والقضايا التي أثارها بعد تنصيبها، تبدو القباني على وعي مبدئي بمشكلات النقابة واحتياجات الفنانين، ويقتن أن يتحول هذا الوعي إلى نقطة انطلاق لخطط وسياسات ومناهج إصلاح على أرض الواقع.

مرت نقابة التشكيليين بالكثير من الظروف الصعبة، وعانى فنانوها الانقسامات والتشتت، والتكتلات والتكتلات المضادة في إطار من التناحر والتراشق، وعلى مجلس النقابة الجديد برئاسة القباني أن يكون منفتحاً على سائر الآراء والتيارات.

قدراتها الذاتية من جهة، وكممثلة لبنات جنسها من جانب آخر. يمكن وصف تجربة القباني الأولى مع الإدارة بأنها لم تكن ناجحة بالقدر الكافي، أو لم تكن بالمستوى المأمول، على الأقل قياساً بنهايتها الدراماتيكية، فبعد قرابة ثلاث سنوات من توليها منصب أول عميدة لكلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان، انتهت رحلة سيدة الخامات الزجاجية الهشة بما يشبه التحطم المعنوي فوق صخور قاسية، حيث جرت إقالتها بقرار مفاجئ من ماجد نجم رئيس الجامعة، الأمر الذي جعل فوزها في نقابة التشكيليين محل مخاوف وتحفظات لدى بعض الفنانين.

لم تتمكن القباني، عميدة أقدم مؤسسة فنية بالشرق الأوسط، من النهوض بكلية الفنون الجميلة خلال تلك الفترة الوجيزة، مثلما كانت تحلم صاحبة الرؤية التقدمية في الجمال البصري وإبراز شخصية المدن من خلال العمارة والفنون، وتعزيز الهوية الوطنية عبر ربطها المباشر بالهوية المعمارية وخصائصها الفنية.

كما أن سيدة الرسائل الإبداعية الداعية إلى التسامح وتقبل الآخر لم تتمكن من درء التهمة عن نفسها وتبرئة ذاتها من حيثيات إقالتها سوى بعبارة "حسبي الله ونعم الوكيل"، وبمناشدة رئيس الجمهورية بـ"رفع الظلم عنها".

أحيطت تفاصيل الإقالة وقتها بقدر من التعظيم، ومسحة دبلوماسية من الغفوض لإكمال السطور، وجاءت الإقالة استناداً إلى قرار مجلس التأديب بجامعة حلوان، المتبوع بأنه "من حقها اللجوء إلى محكمة القضاء الإداري للطعن إذا ارتأت ظلماً".

أما الذي تردّد من خطوط عامة حول أسباب استبعاد أول سيدة تشغل ذلك المنصب منذ إنشائها كلية الفنون الجميلة عام 1908، فمن بينه أن القباني أدينت بتعديل نتيجة اختبارات القدرات لأحد الطلاب المتقدمين للالتحاق بالكلية، إذ راجعت أوراق اختياره منفردة، بين الألاف من الأوراق، دون لجنة مراجعة النتائج بالكلية، بما يعد مخالفة قانونية، وصفها البعض بأنها تزوير، فيما تحفظ رئيس الجامعة عن ذكر أسباب الإقالة بشكل واضح.

## سلاح النسوية

أمر آخر يتعلق بتلك التحديات الكائنة أمام القباني على سلام نقابة التشكيليين في ساحة دار الأوبرا المصرية، هو محاولتها استثمار أنها السيدة الأولى التي تتولى هذا المقعد كسلاح لتحقيق مكاسب وتذليل سبل النجاح، وفسر

هي فنانة التوليفات والألعاب ومواجهة الألفاظ الصعبة، وخوض المغامرات غير المأمونة لكن بحسابات دقيقة، وطاقة محفزة، صفية القباني، عاشقة المنمنمات الزجاجية والفسيفساء المتوهجة، صاحبة الإشراقات والتجليات الصوفية والفيوضات الروحية بلغة السماء، والأعمال المركبة متعددة الخامات بتقنيات حديثة غير منقطعة الصلة بالموروث. وهي أيضاً أستاذة التصوير وأول عميدة لكلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان، وأول امرأة على مقعد نقيب التشكيليين بمصر بفوز كبير في الانتخابات التي أجريت قبل أيام. على الرغم من وعورة الدروب التي سلكتها القباني في مشاورتها السابقة، فإن محطاتها الراهنة والمستقبلية تبدو أكثر خطورة، ومشياً فوق الأشواك بكل معنى الكلمة، ومواجهة للدبابير في عشاها، في مضماري الفن وجمالياته، والعمل الإداري وتبعاته، وذلك بعد توليها أعباء نقابة التشكيليين في انتخابات شرسية حصدت فيها أعلى الأصوات متفوقة على منافسها الفنان التشكيلي طه القرني.



محطات القباني تبدو أكثر خطورة من الدروب الوعرة التي سلكتها، مشياً فوق الأشواك، ومواجهة للدبابير في عشاها، في مضماري الفن وجمالياته، والعمل الإداري وتبعاته

خلفت القباني النقيب السابق حمدي أبوالمعاطي، وورثت منه إرثات النقابة ومشاكلها الكثيرة، التي أوصلتها إلى درجة غير مسبوقه من التشرذم والانقسامات والخلافات بين جبهاتها وأعضائها.

## رد الاعتبار

ماذا بإمكان الأصابع الأنثوية أن تضيف إلى هذا الكيان العريق الذي تنتظم تحته أجيال متعاقبة من فنانتي مصر المبدعين؟ وبأي وجه من وجوهها ستتعاطى القباني مع العمل العام، ذي الطبيعة الفنية بالغة الخصوصية، بوجهه الإدارية أم الأكاديمية أم الفنانة المرفقة أم المرأة؟

ومهما بدا الأمر من الوجهات المنطقية والعملية والتقنية غير متصل بجنس النقيب، رجلاً كان أم امرأة، فإن كونها أول سيدة تعتلي كرسي النقابة سيكون له، شاعت القباني أو أبت، تأثير على توجهاتها والمهام المنوطة بها والتحديات التي تواجهها لإثبات

